

البحث الخامس

التناسب في وجوه التوكيد

تفاوت أحوال المخاطبين عند توجيه الكلام إليهم، فمنهم من هو خالي الذهن، يقتنع بما تقوله، ومنهم من هو شاكّ متردد يحتاج معه إلى تأكيد كلامك، وفئة ثالثة -وهي المبتكرة- تحتاج منك ترجيح الكلام بأكثر من مؤكد، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وللتوكيد أدوات عدة، من أشهرها: (إن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، والحروف الزائدة، وقد، وأما الشرطية، وضمير الفصل، واسمية الجملة، وتقديم الفاعل المعنوي).

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) نجد موضع التوكيد هو ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾، حيث أكد الجملة ببنائها على الاسم (هم)، ثم الإخبار عنها بالفعل مسند إلى ضمير عائد على مبتدأ، فأفاد ذلك تكرار الإسناد، ومن هنا كان التوكيد. وبناء الفعلين (يتركوا- ويفتنون) للمجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل، والمعنى: (أحسبوا أن يتركوا خالين من فتون الكافرين)؟ لما قد عرف من مناصبة الناس العدا لمن خالفهم في الدين والمعتقد^(٣) حيث نجد إن موضع التوكيد في الآية ﴿وَلَقَدْ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: م١٠، ٢٠/٢٠٣.

فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ﴿١﴾ حيث أكدت

الجملة بـ: ١- اللام الدالة على قسم محذوف في ﴿وَلَقَدْ﴾.

٢- حرف تحقيق (قد).

٣- اللام الموطئة للقسم في ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾.

أما نون التوكيد فلا تُعدّ من المؤكّدات؛ لأنها مؤكدة لفعل، وليست مؤكدة للنسبة (أي: الحكم الذي اشتملت عليه الجملة)^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) نلاحظ هنا موضع التوكيد جاء في قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الآية، أكد الجملة بلام القسم ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾، أي: لنغفر ما كانوا عليه من الشرك^(٣)، أو بمعنى: «لنغطينها عنهم بالمغفرة بسبب ما عملوا من الصالحات»^(٤) ويتكرر أسلوب التوكيد بالقسم في ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾، أي: بأحسن جزاء، أو يجزيهم بأكثر ما عملوا وأحسن^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٦) موضع التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلُوا

(١) ينظر: شروح التلخيص (عروس الأفراح): ٢١٩/١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٧.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٥٣٨/٥.

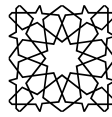
(٤) فتح القدير: ١٩٣/٤.

(٥) ينظر: المصدر السابق.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ١٣.

أَفْقَاهُمْ»، ﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، لما كان إنكارهم للآخرة جلياً واضحةً ناسب مجيء أسلوب التوكيد بلام القسم الدالة عليه، وتقدير القسم المحذوف: (والله ليحملن أثقاهم كاملة)^(١). ثم كرر أسلوب التوكيد وأدواته في قوله: ﴿لَيَسْأَلَنَّ﴾، وذكر السؤال بعد ذكر الجزاء لما للسؤال على طريق الازدراء والإذلال من الركب في القلب ما ليس للأفعال^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَسَتَعْلَمُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣) موضع التوكيد في قوله: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ولشدة إنكار الكافرين لوقوع العذاب أكد الجملة بأكثر من أداة، فلام القسم أكدت على حصول ما استبعدوا حدوثه، فجاءت في وقت لا يعلمه إلا هو سبحانه، وتقدير القسم: (وبالله ليأتينهم العذاب)^(٤)، ثم زاد في تأكيد نزول العذاب بهم فجأة بإسناد الفعل (يشعرون) إلى المبتدأ (هم)، وبناء الجملة الفعلية على الضمير (هم) أفاد التوكيد من حيث كون الفعل (يشعرون) أسند مرتين: مرة إلى الضمير (هم) باعتباره مبتدأ، ومرة أخرى إلى واو الجماعة العائدة على الضمير (هم)^(٥).



(١) ينظر: تفسير المحرر الوجيز: ٢٥٣/٤.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٥٤٢/٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.

(٤) ينظر: تفسير المحرر الوجيز: ٢٦٤/٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: م ١٠، ١٨/٢١.